

كتاب « دولة اليهود » لـ . نيو دور هرتزل

ولد نيو دور هرتزل في بودابست ١٨٦٠ ، ومات ١٩٠٤ .

عمل صحفياً في فيينا ، ألف مسرحيات وكتابين ، يومياته ، ثم كتاب « الدولة اليهودية » الذي نشر في العقد الأخير من القرن الماضي .

يعتبر « الدولة اليهودية » دستور قيام دولة إسرائيل * ، ويضعه كثير من اليهود تالياً للتوراة والتلمود ، ويجعلوا من هرتزل - الذي كان علمانياً ، ومات على الأرجح بمرض الزهري - نبي القرن التاسع عشر .

وللاسف الشديد ، بلغ بنا التصير وعدم المبالاة والوعى أن أول ترجمة عربية نشرت لهذا الكتاب جاءت السنة الماضية ، عندما قام بترجمته محمد يوسف عدس وراجعه الدكتور عادل حسن غنيم أستاذ التاريخ المعروف ، ونشرته دار الزهراء للنشر .

* * *

بناء على دعوة هرتزل ، عُقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا ٢٩ - ٣١ أغسطس ، تلته مؤتمرات صهيونية أخرى حتى جاء وعد بلفور ١٩١٧ ، ثم صك الانتداب ثم ... ثم ...

يتكون الكتاب من خمسة فصول وخاتمة ، قدم له حاييم وايزمان - أول رئيس لدولة إسرائيل - قبل مقدمة المؤلف ، وذلك في إحدى الطبعات الإنجليزية المتأخرة للكتاب .

* ليس لإسرائيل دستور مكتوب حتى اليوم ، تجنباً للصدام بين العلمانيين والأحزاب الدينية . فللأحزاب الدينية قدرة اسقط الحكومات - التي تشترك فيها منذ قيام دولة إسرائيل - كذلك إذا جاء الدستور عثمانياً فكيف ستبرر إسرائيل قيامها لعلم الغرب بعد أن أسسته على أسطورة الأرض الموعودة في التوراة ؟

وفيما يلي أهم أفكار الكتاب مع تعليقاتنا عليها :

مقدمة هاييم وايزمان

تساءل وايزمان عن سر الاهتمام الزائد بكتاب هرتزل ، ويقاها أكثر من كتب أخرى لمؤلفين صهاينة مثل « روما والقدس » - موسى هس ، « التحرر الذاتي » - ليون بنسكر ، هل صدوره معاصراً لقضية دريفوس* « التي طرحنا المشكلة اليهودية بشكل جاد أمام كثير من اليهود الذين لم يكونوا على وعى بها ؟ » .

ثم يقول :

« إن عظمة هرتزل الحقيقية تتجلى في تواضعه أمام إخلاص وإيمان الجماهير اليهودية المتواضعة في الجيتو بأوروبا الشرقية ، والذي اكتشفه خلال نشاطه بالحركة الصهيونية . ومن ثم كانت أكثر العبارات تأثيراً في مذكراته تلك التي تشير إلى مندوبى أوروبا الشرقية . لقد اكتشف في جيتو فيلنا ووارسو جيشاً كبيراً من العمال والمشايخين ، علم أنه يمكن الإعتماد عليهم حتى الموت » .

« لقد كان يلزمه شبح المذابح التي أثارت - في ذلك الوقت - خيال اليهود الغربيين ، إلا أنها كانت تعبيراً مخففاً عن العداء للسامية إذا قورنت بما يحدث في الوقت الراهن^(١) » .

« لقد ووجه هرتزل بأكبر مفاجأة في حياته كلها عندما قوبل مشروعه في الحل الأوغندي^(٢) بمقاومة هؤلاء اليهود الذين كانوا أحوج ما يكونون إلى هذا الملجأ » .

واختتم وايزمان مقدمته قائلاً :

إن جيلاً جديداً من اليهود قد نتاح لهم الفرصة لإتمام هذا الذى بدأناه ، وسوف يستمدون الإلهام والشجاعة من الرؤية الواضحة والإيمان النبيل الذى ينبثق من صفحات ثيودور هرتزل « الدولة اليهودية » .

* ضابط فرنسي يهودى ، أتهم بالتجسس لحساب ألمانيا عام ١٨٩٤ ، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، ثم أعيدت محاكمته وحصل على البراءة . وكانت قضية رأى عام فى فرنسا ذلك الوقت .

١- مذابح هنتر بالمقارنة بالمذابح التي حدثت بروسيا أواخر القرن الماضي .

٢- كانت هناك اقتراحات كثيرة لمكان إقامة الدولة اليهودية : ليبيا - أوغندا - كينيا - أستراليا - الأرجنتين ، بالإضافة لسيناء وفلسطين .

مقدمة هرتزل

« إن النولة اليهودية ضرورية للعالم ، ولذلك فسوف تقوم »

« هل معاناة اليهود ليست على درجة كافية من الخطورة ؟ »

« إن العالم يردد صيحات صاخبة ضد اليهود .. وهذه الصيحات هي التي أيقظت الفكرة من سباتها » .

« إن كل شئ يعتمد على قوتنا الدافعة .. ولكن ماهى قوتنا الدافعة ؟ إنها يؤس اليهود . فمن يجرؤ على إنكاره ؟ »

الفصل الأول : تمهيد

« فى الوقت الذى تحبسننا فيه أوروبا فى الجيتو نسمع عن أحداث تجرى فى مناطق من العالم لم تكن اكتشفت من قبل ، وذلك فى غضون ساعة من وقوعها . ومن ثم فإن يؤس اليهود يعتبر مفارقة تاريخية » .

« إن المسألة اليهودية توجد حيثما يوجد عدد ملحوظ من اليهود ، وحيث تختفى هذه المشكلة فمعناها أن اليهود قد هاجروا وحملوها معهم . ومن الطبيعى أننا نرحل إلى الأماكن التى لا تلقى فيها الاضطهاد ، حتى إذا حللنا هناك فإن مجرد وجودنا فى حد ذاته يولد الاضطهاد . إن أصحاب الحظ العاثر من اليهود يحملون الآن العداء للسامية إلى إنجلترا ، وإلى أمريكا .

أعتقد أننى أفهم العداء للسامية ، إنها حركة بالغة التعقيد ، إننى أنظر إليها من وجهة نظر يهودية ولكن بدون خوف أو كراهية ، إننى أستطيع أن أرى العناصر التى تدخل فى تركيبها . فهى مزيج من السخرية المبتذلة ، ومن الغيرة فى المسائل التجارية العامة ، ومن التعصب الموروث ، وعدم التسامح الدينى ، إلى جانب التظاهر بالدفاع عن النفس .

أعتقد أن المسألة اليهودية لم تعد مجرد مشكلة اجتماعية بقدر ماهى قضية دينية » .

« إننا شعب .. وشعب واحد . لقد حاولنا مخلصين فى كل مكان أن نندمج فى الحياة الاجتماعية للمجتمعات المحيطة بنا ، وأن نحافظ على عقيدة آبائنا ، ولكن لم يسمح لنا بذلك » .

« إن الأثرية فى أى بلد يمكنها أن تقر من هم الأجنب ، فالقضية هنا قضية قوة ، شأنها فى ذلك شأن الأمور الأخرى التى تنشأ فى مجرى العلاقات بين الشعوب . القوة تسبق الحق . هذه هى الحقيقة الواقعة فى عالمنا المعاصر ، وسوف تبقى كذلك إلى أمد بعيد . » .

« إن الظلم والاضطهاد لن يقضيا علينا .. إن إيذاء اليهود بشكل متتابع قد قضى على ضعفائنا ، أما الأقوياء منا فقد أخلصوا لجنسهم عندما تفتشت أعمال التعذيب ضدهم . أما أولئك اليهود الذين اكتسبوا حظاً وافراً من العلم والثروة ، فقد تخلوا نهائياً عن الولاء لجنسهم . » .

« إن التعصبات القديمة ضدنا لاتزال تكمن فى سويداء القلوب ، ومن يريد براهين على ذلك لا يحتاج أكثر من أن ينصت إلى الناس عندما يتحدثون بصراحة وبساطة : فالأمثال والقصص الخرافية جميعها مناهضة للسامية . » .

« إننى أعنى بالاندماج ليس فقط مجرد التطابق الظاهرى فى الملبس والعادات والتقاليد واللغة ، ولكن أيضاً فى وحدة الشعور والأخلاق . واندماج اليهود بهذا المعنى لن يتم إلا عن طريق الزواج المختلط ، ولكن الحاجة إلى الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم يجب أن يكون تعبيراً عن شعور أغلبية السكان ، وذلك لأن مجرد الاعتراف القانونى به ليس كافياً ... » .

وفى نفس الوقت فإن الكفاح فى سبيل إقرار مبدأ الزواج المختلط قد جسم الخلافات بين اليهود والمسيحيين ، ومن ثم كان سبباً فى إعاقة امتزاج الأجناس أكثر مما ساعد على تحقيقه !! » .

« إن الذين يرغبون بصدق أن يروا اليهود ينوبون فى بوتقة واحدة مع الشعوب الأخرى ليس أمامهم غير طريق واحد ، وهو أن يمتلك اليهود بادية ذى بدء قوة اقتصادية تمكنهم من التغلب على التمييز الاجتماعى القديم الذى يمارس ضدهم . » .

« إن الحصول المسبق على القوة يمكن أن يكون مرادفاً للتفوق الاقتصادى الذى يتهم اليهود خطأ بأنهم يملكونه ... » .

ولذلك فإننى واثق أن اندماج اليهود مع غيرهم عن طريق إحراز مزيد من الرخاء

الاقتصادى غير ممكن التحقيق .

« غير إننى أريد بادئ ذى بدء أن أتجنب أى سوء فهم قد ينشأ بصفة خاصة من فكرة خاطئة ، إن مشروعى عندما يتحقق قد يمس بأقل الضرر الثروات التى يمتلكها اليهود الآن » .

« أما القومية المتميزة لليهود ، فلا يمكن أن تبنى ، وإن تبنى ولا ينبغي لها أن تبنى . إنه لا يمكن تدميرها ، لأن الأعداء الخارجيين يدعمونها » .

« إن بعض هذه المؤسسات الخيرية (جمعيات تهجير اليهود المشردين) أنشئت لا لمصلحة اليهود المضطهدين ولكن ضدهم ، فقد أنشئت لترحيل هذه المخلوقات التعيسة فى أسرع وقت وإلى أبعد ما يمكن . وهكذا فإن كثيرا ممن يبدو أنهم أصدقاء لليهود ، يصبحون - بالفحص الدقيق - أعداء للسامية من أصل يهودى ، لكنهم متنكرين فى ثياب الإحسان » .

« إن الحركة (هجرة اليهود إلى وطن) لن تبدأ متسقة فقط مع القانون ، بل إنه لا يمكن تنفيذها بدون التعاون الصادق من الحكومات المعنية ، والتى ستحصل على فوائد كبرى من وراءها » .

* * *

يمكن حصر أهم أفكار هذا الفصل فيما يلى :

* اليهود مضطهدون فى كل مكان وزمان .

* لا يمكن وضع حد لهذا الاضطهاد .

* لا يمكن لليهود أن يندمجوا فى أى مجتمع حتى لو أصبحوا أغنياء وأقوياء .

* القوة تسبق الحق .

* الدولة اليهودية ستفيد العالم ، والحكومات التى تدعمها ستحصل على فوائد كبرى .

* العداة للسامية أساس لقيام الدولة اليهودية .

* اليهود الذين يساعدون اليهود الفقراء أعداء للسامية .

ولنا أن نتساءل ... إذا كان اليهود مضطهدين فى كل مكان وزمان .. فلماذا ؟
لماذا لا يندمج اليهود فى أى مجتمع فى الدنيا على مدار التاريخ ؟

كيف ستفيد اليهودية العالم ؟ ما علاقة اضطهاد أو كراهية اليهود بالعداء
للسامية ؟ فاليهود اليوم غالبيتهم ليسوا ساميين ، والعرب وأجناس أخرى كثيرة سامية ؟
والساميون من اليهود لا يتجاوزون ٣ ٪ من الساميين فى العالم .

الفصل الثانى : المسألة اليهودية

« لا أحد يستطيع أن ينكر خطورة وضع اليهود ، فحينما يعيشون فى أعداد
ملحوظة تجد أنهم مضطهدون بشكل أو بآخر . لقد أصبحت مساواتهم أمام القانون -
التي منحها لهم التشريع - حبراً على ورق ، فهم محرومون من شغل الوظائف ذات
الأهمية النسبية سواء فى الجيش أو فى أى مجال عام أو خاص . بل إن المحاولات
قائمة لإبعادهم عن شتى المهن أيضاً :

لا تشتري من اليهود *

« أليس صحيحاً أنه فى البلاد التي نعيش فيها بأعداد ملحوظة فإن أوضاعنا -
سواء فى ذلك المحامين أو الأطباء أو الموظفين من كل صنف - تتحول من سئ إلى
أسوأ ، يوماً بعد يوم ؟ » .

« فى الواقع إن كل شئ يتجه إلى خلاصة واحدة تعبر عنها بوضوح العبارة
التقليدية فى برلين : أيها اليهود أخرجوا » .

« إننى أزعم أننا لا يمكن أن نأمل فى أى تغيير فى الشعور السائد الآن . ولم ذلك !
إننا حتى لو كنا أقرب إلى قلوب الأمراء من رعاياهم الآخرين ، فإنهم
رغم كل شئ لم يستطيعوا حمايتنا ، وكل ما استطاعوه هو أن يفذوا
الكراهية العامة لليهود عندما يظهرون تجاهنا من الرضا أكثر مما

* - شغل اليهود وظائف هامة فى الدولة الإسلامية منذ الخلافة العباسية حتى التركية . وفى الأندلس إستردوا حقوقهم
وأمنهم حتى سقطت الأندلس ، وعلى سبيل المثال ، قال الشاعر المصرى عند ارتفاع نجم اليهود أيام الدولة الفاطمية :
يا أهل مصر إنى نصحت لكم * * تهودوا قد تهود الفلك . وكذلك استمتعوا فى مصر بكافة الحقوق كباقي المصريين
حتى عدوان ١٩٥٦ .

ينبغي * وما أعنيه بأكثر مما ينبغي في الحقيقة هو أقل ما يُطالب به كحق أي مواطن عادي أو جماعة عرقية . إن الأمم التي تعيش في وسطها اليهود جميعها مناهضة للسامية بشكل علني أو مستتر .

« وما الذي يمكن اكتسابه بنقل بضعة آلاف من اليهود إلى دولة أخرى ؟ إنهم إما أن يصابوا بالفشل على الفور ، أو يكون النجاح حليفهم . وفي هذه الحالة فإن نجاحهم هذا سيولد العداء للسامية . »

« العداء للسامية لا يمكن أن يزول طالما بقيت أسبابه قائمة ... فهل هي قابلة للزوال ؟ » .

« إن العداء للسامية بين الشعوب يتعاظم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة وهو حريٌّ بأن يتعاظم حقاً ، لأن أسباب نموه مستمرة في الوجود ولا يمكن إزالتها . »

« لقد ألمحت فيما سبق إلى مسألة « إدماننا » ولا أريد أن يفهم من كلامي ولو للحظة أنني أرغب في نهاية كهذه . »

« إن العالم - بشكل ما - يستفزه ازدهارنا ، لأنه على مدى القرون اعتاد على اعتبارنا أحمق الفقراء . وهو بسبب جهله وضيق أفقه قد أخفق في أن يلاحظ أن الإزدهار يضعف يهوديتنا ويطغى ميزاتها . إنها الضغوط وحدها التي تدفعنا للعودة إلى جنورنا ، إنها الكراهية التي تحيط بنا هي التي تجعلنا غريباً مرة أخرى . »

* * *

الخطبة

« فلنمنح السيادة على جزء من الأرض يكفي للاحتياجات الحقيقية لأمة، وسوف نتكفل نحن بالباقي . »

* جاء في كتاب « الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود » للمؤلف اليهودي إسرائيل شاحاك تحت عنوان اضطهاد اليهود : تجدر الإشارة إلى أنه في كل أسوأ أنواع الإضطهاد التي تعرض لها اليهود ، أي التي نجم عنها سقوط قتلى بينهم ، كانت النخبة الحاكمة - الإمبراطور والبابا والملوك والأرستقراطية العليا ، وكبار رجال الدين ، وكذلك البرجوازية الغنية في المدن ذات الإدارة الذاتية - دائماً إلى جانب اليهود . أما من يناصبونهم العداء ، فكانوا دائماً من أبناء الطبقات المسحوقة والمستغلة .

« إن الحكومات فى جميع البلاد التى أُنتُقدت بسبب العداء للسامية سوف تكون حريصة على مساعدتنا فى الحصول على السيادة التى نريدها » .!

« إن الخطة ، وهى بسيطة فى تصميمها معقدة فى تنفيذها ، سوف تقوم بها مؤسستان : جمعية اليهود ، والشركة اليهودية » .

« إذا أردنا أن نقيم اليوم دولة ، فلن نقيمها بنفس الطريقة التى كانت هى الإمكانية الوحيدة من ألف سنة ، لنفرض كمثال على ذلك أنه كان علينا أن نخلى أرضاً من الحيوانات المفترسة . فلن نقوم بالمهمة بنفس الطريقة التى اتبعها الأوروبيون . فلا يصح أن نأخذ رمحا وحرية ونخرج أفراداً وراء الدببة . بل ينبغى أن ننظم مجموعة قوية من الصيادين ، فنسوق الحيوانات لنجمعهم معاً فى مكان واحد ثم نقذف فى وسطهم بقنبلة مدمرة » .

ثم يناقش هرتزل مكان إقامة الدولة الجديدة :

فلسطين أم الأرجنتين ؟

« هناك الآن منطقتان موضوعتان فى الاعتبار : فلسطين والأرجنتين . ففى كل من البلدين هناك تجارب استعمارية هامة . ولكن على أساس مبدأ خاطئ من التسلل التدريجى لليهود . وهو تسلل من شأنه أن ينتهى نهاية سيئة . إنه يستمر إلى اللحظة التى لا يمكن تجنبها . عندما يشعر السكان المحليون أنهم مهددون فيجبرون الحكومة على إيقاف أى تدفق جديد لليهود ، وبالتالي فإن الهجرة لا جدوى منها ما لم تقم على أساس من هيمنة مضمونة » .

« هل نختار فلسطين أم الأرجنتين ؟ * إننا سنأخذ ما يُعطى لنا ، وما يختاره رأى العام اليهودى ، وسوف تقرره الجمعية » .

« فإذا منحنا جلالة السلطان فى فلسطين ، سنأخذ على عاتقنا بالمقابل تنظيم مالية تركيا . ومن هناك (من فلسطين) سوف نشكل جزءاً من استحكامات

* هذا السؤال كئيل وحده يدحض دعوى الأرض الموعودة . وفى الحقيقة كان الخيار أوسع من ذلك ، فشمّل مع فلسطين والأرجنتين : استراليا ، أوغندا ، كينيا ، ليبيا ، سيناء .

أوروبا في مواجهة آسيا كموقع أمامي للحضارة في مواجهة البربرية.»
« إن ملاذات العالم المسيحي يجب صيانتها بتحديد مكانة إقليمية إضافية لها مما هو معروف في قانون الأمم . وعلينا أن نشكل حرس شرف حول هذه الملاذات بفرض تحقيق هذا الواجب فيما يختص بوجودنا . وسيكون حرس الشرف هذا هو الرمز العظيم لحل المشكلة اليهودية بعد ثمانية عشر قرناً من معاناة اليهود . »

الفصل الثالث : الشركة اليهودية

« لقد صُممت الشركة اليهودية على أساس أن تكون إلى حد ما شركة كبرى للحصول على الأرض ، ويمكن أن نطلق عليها « الشركة اليهودية القانونية » رغم أنها لا تستطيع أن تمارس سلطة سيادية . وإن مهمتها مهمة استعمارية خاصة .

سوف تؤسس الشركة كشركة مساهمة خاضعة للقضاء الإنجليزي ، مصاغة وفقاً للقانون الإنجليزي وتحت حماية إنجلترا . وسيكون مركزها الرئيسي في لندن . »

« إن الأرض التي ستستحوذ عليها جمعية اليهود بالقانون الدولي ، لا بد - بطبيعة الحال - أن يكون الحصول عليها بطريقة خاصة . »

« سوف تبيع الشركة قطع الأراضي للمباني بأثمان رخيصة لموظفيها وسوف تسمح لهم بسلف لبناء مساكنهم ، ثم تقوم بخضم أقساطها من مرتباتهم ، أو تضعها في حساباتهم كمكافآت مالية . »

« ولن يسمح بالفوائد تحت أي اعتبار ** . إن أخلاقيات المال تتألف من العلاقة المتبادلة بين الربح والمخاطرة . »

* في تحول لا منطقي ، ولا إنساني ، يتكلم مرتزل عن حماية اليهود للحضارة الأوروبية - التي أمضى نصف الكتاب يتكلم عن اضطهادها وظلمها لليهود - . وينكرنا هذا بما يفعله اليوم قادة إسرائيل والصهيونية العالمية في تعبئة العالم ضد الإسلام ، وتصويره عدواً للبشرية . ويديهي أن يتم ذلك بنفس طريقة التضليل والخداع المشهورتين ، فتكون التعبئة ضد الاختراع الحديث : الأصولية الإسلامية .

** اقرأ في كتاب « سقوط إسرائيل ، لحظه » باري شمس ، الذي يفخر بكونه يهودياً إسرائيلياً خاطر بحياته كجندي مخلص :

هناك قصة طريفة تدل على طمع بنك مزراحي وفساده في ضوء المؤسسة الدينية التي تملكه .

دخل رجل بنك مزراحي وتوجه إلى أمينة الصندوق وقال لها : أريد أن أودع مبلغاً ملعوناً . لم تصدق الموظفة ما سمعت أذناها وطلبت منه أن يعيد مطلبه . فكر . أريد أن أودع مبلغاً ملعوناً . أصيبت الموظفة بالذعر والدهشة ونادت مديرها ليوضح لها ذلك الأمر الجلل الذي يحدث .

أقترب المدير من الزبون وقال : نحن بنك متدين ولا نسمح لك أن تدخل وتلعن . قال الزبون مصراً : لقد جئت لأودع ١٠ مليون دولار ملعونة - ماذا ؟! يجب المدير ويشير بيده للموظفة قائلاً : ولا تريد هذه المومس أن تساعدك ؟!

« فى أماكن كثيرة يسيطر اليهود على وسائل النقل . وسوف تكون أعمال النقل أول ما تحتاج إليه الشركة وأول ما ستقوم بتصنيفته . وعلى الملاك الأصليين أن يسهموا فى خدمة الشركة أو يؤسسوا أنفسهم هناك مستقلين » .

« هناك ثلاثة أساليب للحصول على هذا المبلغ (رأس المال) ستأخذها الجمعية جميعاً فى الاعتبار . إن الجمعية وهى المدير الأعظم لليهود ، سوف تتألف من أفضل رجالنا وأكثرهم استقامة ، وهؤلاء لا ينبغي لهم أن يحصلوا على أى منفعة مادية من عضويتهم للجمعية .

وعلى الرغم من أن الجمعية فى مستهل حياتها لن تملك أكثر من سلطات معنوية ، فإن هذه السلطات كافية لخلق الثقة فى الشركة اليهودية فى عيون الأمة » .

« أما الطرق الثلاثة للحصول على رأس المال فهى :

١ - خلال البنوك الكبرى .

٢ - خلال البنوك الصغيرة والبنوك الخاصة .

٣ - خلال الاكتتاب العام » .

« إن اليهود الفقراء لا يشعرون بغير الكراهية التى تثيرها هذه القوة المالية . ذلك أنهم لم يروا بعد أنها تُستخدم فى رفع شأنهم . إن ثقل ممولينا الكبار من اليهود يجب أن يوضع فى خدمة الفكرة القومية » .

الفصل الرابع : المجموعات المحلية

يكرر المؤلف مرات ومرات أن اليهود غير مرغوب فيهم فى أى مكان فى العالم ، حتى أمريكا ، فأين سيكون وجودهم مرغوباً ؟

ويؤكد إنعدام اندماجهم فى أى مجتمع ، واستمرار الجيتو ، ويكرر ويؤكد اعتماد مشروعه على معاداة السامية ، ثم يختم الفصل بالتلميح عن ميلاد واحدة من أكبر الخدع العقائدية فى تاريخ البشرية :

« إن العسر الاقتصادي والضغط السياسي والعار الإجتماعي ، كل ذلك دفعنا بعيداً عن أوطاننا وقبورنا . نحن اليهود - اليوم - ننقل بصفة مستمرة من مكان إلى

آخر ، وهناك تيار قوى يحملنا بشكل فعلى عبر البحر غرباً إلى الولايات المتحدة ، حيث وجودنا هناك أيضا غير مرغوب فيه . فأين سيكون وجودنا مرغوباً فيه طالما أننا أمة بلا وطن ؟ » .

« إن اليهود - فيما عدا الأثرياء منهم - لديهم قليل من العلاقات الزوجية مع المسيحيين . كما أنه فى بعض البلاد تنحصر معرفتهم بالمسيحيين فى عدد قليل من الطفيليين والأتباع ، أما بالنسبة للطبقات الأفضل من المسيحيين ، فإن اليهود لا يعرفون عنهم شيئاً .. إن الجيتو لا يزال قائماً رغم انهيار جدرانته » .

« إن الطبقات الوسطى سوف تتجرف تلقائياً فى التيار الخارج (للهجرة) .. فابنائهم سيكونون موظفين فى الجمعية أو أجراء فى الشركة هناك . إن المحامين الذين يبحثون عن فرص ، والذين يفرون اليوم من الاضطهاد فى أوطانهم لكى يكسبوا عيشهم فى أرض أجنبية ، سوف يتجمعون على أرض مليئة بالوعود المواتية . ستتزوج بنات الطبقة المتوسطة أولئك الرجال الطموحين ، وسيبعث أحدهم فى طلب زوجته أو خطيبته للحاق به ، وسيبعث آخر فى طلب أبويه أو إخوته وأخواته وسيتزوج أبناء الحضارة الجديدة فى سن مبكرة ، وهذا من شأنه أن يرتقى بالأخلاق العامة ، ويضمن القوة فى الجيل الجديد . وهكذا لن يكون عندنا أبناء ضعاف بسبب الزيجات المتأخرة ، أطفال من آباء أنهكوا قوتهم فى الصراع من أجل العيش » .

ظاهرة الجمهرة

« أى جهد ضخم قلما سيكون ضرورياً لحث الحركة ، فإن أعداء السامية يوفرون القوة الدافعة اللازمة لذلك » .

« إن طبقاتنا الفقيرة وحدها تكفى لإقامة بولة ، فهؤلاء يشكلون أقوى العناصر البشرية القادرة على حياة الأرض ، لأن قليلاً من اليأس لا غنى عنه للقيام بالإنجازات الكبرى » .

« كم من الناس قد تم توجيههم إلى مكان معين بدون إعطائهم أوامر للذهاب هناك ؟ هناك بعض اليهود المحسنين على نطاق واسع ممن يحاولون رفع المعاناة عن اليهود من خلال التجارب الصهيونية . هذه المشكلة تطرح نفسها عليهم

أيضا . فكروا فى حلها عن طريق إعطاء المهاجرين مالا أو وسائل للعمل . وهكذا فإن المحسنين يقولون : إننا ندفع لهؤلاء الناس لكى يذهبوا إلى هناك .

مثل هذا العمل محض خطأ . فكل مال العالم لن يحقق الغرض منه . من ناحية أخرى تقول الشركة : نحن لن ندفع لهم ، بل سنجعلهم يدفعون لنا ، نحن فقط سنوفر لهم بعض الحوافز لكى يرحلوا .

ولكى يكون المعنى الذى أقصده أكثر وضوحاً ، دعنا نتصور هذا الموقف : أحد هؤلاء المحسنين - وسنطلق عليه اسم البارون - وأنا معه ، نريد أن نحضر جمهوراً من الناس إلى سهل « لون شان » قرب باريس ، فى يوم أحد قانظ بعد الظهيرة .

البارون بوعده لهم عشرة فرنكات لكل واحد ، سيجلب بمائتى ألف فرنك عشرين ألفاً من العرقى البائسين . وسوف يلعنونه لأنه سبب لهم كثيراً من الضرر . أما أنا فسأجعل هذه المائتى ألف فرنك جائزة لأسرع فرس فى حلبة السباق . وسأقيم حواجز لمنع الناس من الدخول . إنهم سيدفعون لكى يدخلوا فرنكا ، وخمسة فرنكات ، وعشرين فرنكا .

وستكون النتيجة أننى ساتى بنصف مليون هناك ، وسوف أحصل فى مقابل المائتى ألف فرنك على حوالى مليون من رسوم الدخول وضرائب اللعبة . سأستطيع أن أتى بالناس إلى هناك عندما أريد أما البارون فلن يستطيع .

« لقد أعطيناهم أملاً » .

« هل من الضرورى تصوير ظاهرة الجمهرة وتركيز الجماهير فى بقعة معينة بالإشارة إلى الحج المقدس ؟ سوف ألمح فقط باختصار شديد إلى حج المحمديين إلى مكة ، وإلى حج الكاثوليك إلى لوردز وإلى أماكن أخرى كثيرة يعود منها الناس وقد ملا الإيمان قلوبهم بالغبطة .

سوف ندع كل إنسان يبحث عن خلاصه « هناك » بطريقته الخاصة » .

« عندما تبدأ الحركة ، سوف تجنب بعض الناس ، وسندع آخرين يلحقون بنا ، وآخرون سيجرفهم التيار وسيُقحم فى النهاية آخرون إقحاما . »

الفصل الخامس : جمعية اليهود والدولة اليهودية

« حقا إن الدولة اليهودية يمكن تصور أنها تركيبة جديدة ومميزة ، وعلى أرض غير محددة . إلا أن الدولة لا تتشكل بواسطة قطعة من الأرض ، ولكن بواسطة عدد من الناس متحدين تحت سلطة سيادية . الشعب هو الأساس الذاتى للدولة ، والأرض هى الأساس الموضوعى لها . والأساس الذاتى هو أهم الأثنين . فعلى سبيل المثال هناك سلطة ليس لها أساس موضوعى على الإطلاق ، هى على الأرجح أكثر احتراماً فى العالم ، أنا هنا أشير إلى السلطة البابوية . »

« لقد ذكرت من قبل أن أول أهدافنا هو السيادة - التى يضمناها لنا القانون الدولى - على قطعة من الأرض ذات مساحة كبيرة كافية لتحقيق متطلباتنا العادلة . »

فما هى الخطوة التالية ؟ . »

إحتلال الأرض

منذ ما لا يزيد عن أربعين عاماً مضت ، كان البحث عن الذهب يجرى بطريقة بالغة البدائية . فكم كانت أيام كاليفورنيا مليئة بالمغامرات ! خير جلب المغامرين تبعاً من أنحاء الأرض ، فسطوا على قطع من الأرض ، وسرقوا الذهب بعضهم من بعض ، وفى النهاية ضيعوه على موائد القمار كما يفعل الصوص فى العادة . »

« علينا أن نبحث وأن نمتلك الوطن اليهودى الجديد ، مستخدمين كل ذريعة حديثة . »

الدستور

« أرى أن الملكية الديمقراطية والجمهورية الأرستقراطية هما أروع أشكال الدولة ، ففيهما شكل الدولة ومبدأ الحكومة متعارضان ، ومن هنا يأتى التوازن الصحيح للقوة . إننى مؤيد وفى المؤسسات الملكية ، لأنها تسمح باستمرارية السياسة ، وتمثل مصالح الأسر الشهيرة فى التاريخ ، أولئك الذين ولدوا وتعلموا لكى يمارسوا الحكم ، ورغباتهم محكومة بالحفاظ على الدولة . »

« قال منتسيكو الحكيم : إن النزعة إلى الديمقراطية هي الفضيلة .

فأين هي هذه الفضيلة ؟ أعنى الفضيلة السياسية .. ؟ أين نصادفها ؟

إننى لا أثق فى فضيلتنا السياسية ، أولاً لأننا لسنا أفضل من بقية البشر المعاصرين ، وثانياً لأن الحرية ستجعلنا نبرز مواهبنا فى العراك قبل أى شئ آخر » .

« من المستحيل أن تصوغ سياسة حكيمة فى جمعية عامة . إن السياسة يجب أن تتشكل فى إطار الطبقة العليا ثم تعمل نزولاً إلى الطبقات الأدنى . ولكن لن يمس الجود أبناء الدولة اليهودية . فكل إنسان سيكون مقتدرأ ، وسيكون راغبأ فى الإرتقاء فيها » .

اللغة

« تقدم إلينا سويسرا برهانأ قاطعأ على إمكانية تعدد اللغات فى اتحاد فيدرالى ، اللغة التى تثبت أنها أكثر نفعأ فى العلاقات الإجتماعية العامة ، سوف نتبناها بدون إكراه كلفة قومية . إن جنسنا غريب فريد فليس يجمع بيننا إلا عقيدة آبائنا » .

حكومة ثيوقراطية

هل سننتهى إلى حكومة ثيوقراطية ؟

لا بالتأكيد . إن العقيدة تجمعنا والمعرفة تمنحنا الحرية . ولذلك فسنمنع أى اتجاهات ثيوقراطية تصدر قياداتنا من جانب الكهنوت * . سوف نحصر كهنتنا داخل حدود المعابد ، كما سنحصر بالمثل جيشنا داخل حدود معسكراته ** . لسوف يتلقى جيشنا وكهنتنا منا كل احترام رفيع بقدر ما تستحقه وظيفتهما القيمة ، ولكنهما يجب ألا يتدخلأ فى إدارة شئون الدولة التى تخلع عليهما مكانة سامية وإلا فسيجلبان علينا صعوبات فى الداخل والخارج » .

* لم تخل حكومة إسرائيلية واحدة منذ قيام إسرائيل وحتى اليوم عن اشتراك أحزاب دينية بها ، وكثيرأ ما كان منصب وزير الداخلية من نصيب الأحزاب الدينية !

** كذلك لم يتول منصب رئيس الوزراء فى إسرائيل منذ قيامها أحد من خارج المؤسسة العسكرية إلا ثلاث مرات . فى إحداها جولدا مائير ، الأكثر تطرفأ من قادة المؤسسة .

منافع هجرة اليهود

« أتصور أن الحكومات - سواء طواعية أو تحت ضغوط من أعداء السامية - سوف تعطى هذا المشروع اهتماماً خاصاً ، أو لعلها تستقبله هنا وهناك بتعاطف سيبدو أيضاً لجمعية اليهود . »

« إن الحركة اليهودية يمكن أن توقف بشكل تام هجرة العمال المسيحيين إلى مختلف بقاع العالم . »

« وهناك ميزة أخرى ربما من أعظم الميزات ، وهي الارتياح الاجتماعي الذي سيتولد ، فقد يهدأ القلق الاجتماعي ، وعلى أى حال ، سوف تستقر الأوضاع الاجتماعية خلال الفترة الإنتقالية . »

الفصل السادس : خاتمة

« إن الإخوة العامة ليست حتى حلاً جديداً ، فالتناظر ضرورى لأعظم الجهود الإنسانية . »

« كل من لديه الرغبة فى أن يسير خلف علمنا ، يجب أن ينهض لمساعدتنا فى هذه الحملة التنويرية ، فربما سيكون علينا أن نحارب أولاً ضد كثير من أبناء جنسنا ، من أصحاب الأفق الضيق والقلوب العليقة والتوجهات الفاسدة . »

« والآن ... قد تبدو الأمور طويلة لا نهاية لها ، فحتى مع أفضل الظروف قد تمضى سنوات كثيرة قبل أن نبدأ فى إقامة الدولة ، وفى غضون ذلك سيعانى اليهود فى ألف مكان ومكان من الإهانات والإذلال وسوء المعاملة والضرب والنهب والموت . »

« ولكن علينا أولاً أن نحرر عقول الرجال ، فلا بد أن تشق الفكرة طريقها إلى أبعد وأعمس الجحور التى يعيش فيها شعبنا . إنهم سيستيقظون من ظلال الفكر عندما يتدفق فى حياتهم معنى جديد . كل إنسان يحتاج إلى أن يفكر فى نفسه فقط ، وستتولى الحركة أكبر نصيب . »

* * *

يمكن الآن حصر أهم أفكار كتاب « الدولة اليهودية » :

١ - العالم يكره اليهود ، ولا أمل فى انتهاء هذه الكراهية فى أى مكان ولا زمان .

٢ - لا يمكن لليهود أن يندمجوا فى أى بلد فى العالم مع شعوبه .

٣ - اليهود أمة واحدة متميزة .

والأفكار الثلاث الأولى هى لب العنصرية ، وقد أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة إسرائيل فى السبعينات بتهمة العنصرية ، ولكن للأسف ، ضغطت الولايات المتحدة حتى ألغت القرار بعد عدة سنوات ، وصوتت مصر فى جانب إلغاء القرار ، على أمل أن تنتهى إسرائيل عن ممارساتها العنصرية والقمعية للفلسطينيين .

٤ - لا حل للمشكلة اليهودية إلا بخلق دولة يهودية .

٥ - معاداة السامية هى أساس قيام الدولة اليهودية .

٦ - يجب أن يكون أصحاب فكرة قيام الدولة اليهودية مستعدين لمحاربة اليهود إذا وقفوا فى سبيل الدولة الجديدة .

٧ - يجب أن تكفل القوى العالمية قيام هذه الدولة ، ربما يكون دافعها الخلاص من اليهود ، أو ما تستفيده من وراء تلك الدولة اليهودية الجديدة ، أو من كل ذلك .

٨ - وعن أسلوب إقامة الدولة ، نرجع لألفاظ هرتزل بالنص :

« إذا أردنا أن نقيم اليوم دولة ، فلن نقيمها بنفس الطريقة التى كانت هى الإمكانية الوحيدة من ألف سنة ، لنفرض كمثل على ذلك أنه كان علينا أن نخلق أرضاً من الحيوانات المفترسة . فلن نقوم بالمهمة بنفس الطريقة التى اتبعها الأوروبيون . فلا يصح أن نأخذ رمحا وحرية ونخرج أفراداً وراء الدببة . بل ينبغى أن ننظم مجموعة قوية من الصيادين ، فنسوق الحيوانات لنجمعهم معاً فى مكان واحد ثم نقذف فى وسطهم بقنبلة مدمرة » .

٩ - وفى البحث عن دافع روحى ، أو عقيدة ، لقيام هذه الدولة ، نرجع أيضاً

لألفاظ هرتزل بالنص :

« كم من الناس قد تم توجيههم إلى مكان معين بدون إعطائهم أوامر للذهاب هناك ؟ هناك بعض اليهود المحسنين على نطاق واسع ممن يحاولون رفع المعاناة عن اليهود من خلال التجارب الصهيونية . هذه المشكلة تطرح نفسها عليهم أيضا . فكروا في حلها عن طريق إعطاء المهاجرين مالا أو وسائل للعمل . وهكذا فإن المحسنين يقولون : إننا ندفع لهؤلاء الناس لكي يذهبوا إلى هناك .

مثل هذا العمل محض خطأ . فكل مال العالم لن يحقق الغرض منه . من ناحية أخرى تقول الشركة : نحن لن ندفع لهم ، بل سنجعلهم يدفعون لنا ، نحن فقط سنوفر لهم بعض الحوافز لكي يرحلوا .

ولكي يكون المعنى الذي أقصده أكثر وضوحاً ، دعنا نتصور هذا الموقف : أحد هؤلاء المحسنين - وسنطلق عليه اسم البارون - وأنا معه ، نريد أن نحضر جمهوراً من الناس إلى سهل « لون شان » قرب باريس ، في يوم أحد قاتظ بعد الظهيرة .

البارون بوعدده لهم عشرة فرنكات لكل واحد ، سي جلب بمائتي ألف فرنك عشرين ألفاً من العرقى البائسين . وسوف يلعنونه لأنه سبب لهم كثيراً من الضرر . أما أنا فسأجعل هذه المائتي ألف فرنك جائزة لأسرع فارس في حلبة السباق . وسأقيم حواجز لمنع الناس من الدخول . إنهم سيدفعون لكي يدخلوا فرنكا ، وخمسة فرنكات ، وعشرين فرنكا .

وستكون النتيجة أنني سأتي بنصف مليون هناك ، وسوف أحصل في مقابل المائتي ألف فرنك على حوالي مليون من رسوم الدخول وضرائب اللعبة . سأستطيع أن آتي بالناس إلى هناك عندما أريد أما البارون فلن يستطيع .

« لقد أعطيناها أملاً » .

١٠ - سيقحم بعض اليهود في النهاية للذهاب إلى تلك الدولة إقحاماً .